سياسة الرسول الكريم (ص) تجاه النصارى
دراسة تحليلية

The Prophet's (PBUH) Policy Toward Christians
An Analytical Study

أ.م.د. محمد علي محمد رضا الحكيم — Asst. Prof. Dr. Mohamed Ali Alhakeem

مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة — Kufa Studies Center / University of Kufa

mohammeda.alhakeem@uokufa.edu.iq

ملخص

يدور البحث حول علاقة الرسول مع النصارى، فقد أشار إلى المواقف التي جرت بينهما قبل البعثة، واستعرض الحوارات الدينية التي دارت بين الطرفين بعد البعثة، التي ناقشت العديد من الموضوعات العقائدية الخلافية. وتناول البحث طبيعة السياسات التي اتبعها الرسول تجاه هذه الأقلية الدينية حينما أنشأ دولة الإسلام، مستعرضا التفاهمات والمعاهدات التي عقدت بين الطرفين من جهة، والمواجهات المسلحة التي نشبت بينهما.

الكلمات المفتاحية: الرسول، الحوار، النصارى، المواجهات العسكرية، المسيح

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النّجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

Abstract

The research revolves around the Prophet's relationship with Christians. It highlights the positions that took place between them before his mission, and reviews the religious dialogues that took place between the two parties after his mission, which discussed many controversial doctrinal issues. The research also addresses the nature of the policies he pursued toward this religious minority when he established the Islamic state, reviewing the understandings and treaties concluded between the two parties, on the one hand, and the armed confrontations that occurred between them.

Keywords: Prophet, Dialogue, Christians, the military confrontations, messiah.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

مقدمة

من المعلوم أن الهدف من دراسة التاريخ لا يتأتى من الترف الفكري في التعرف على أخبار الماضين، بقدر تعلق الأمر بأخذ العبر والاستفادة من تجارب الأمم السالفة في زيادة الخبرة والتبصر في الحياة العملية لدى المعاصرين.

كما أن دراسة سيرة الرسول الأكرم لا تنحصر كما هو حال دراسة الأمم بسير قادتها العظام من أجل الوفاء لهم والتفاخر بما قدموه من عطاء لأمتهم؛ إذ هي لدى المسلمين مهمة رسالية؛ لأن تعاليم الدين الحنيف تطالب المسلمين بالاستئناس بسنة الرسول والاقتداء بسيرته، وبالتالي فإن تسليط الضوء على سيرته يكون بمثابة خطوة تمهيدية أساسية في سبيل تطبيق تعاليم الدين والشريعة.

إلى جانب ذلك، فإن حياة أتباع الديانات الأخرى في ظل الدولة الإسلامية، وطبيعة تعامل المسلمين معهم كانت مثار بحث ونقد من قبل الباحثين والكتاب المعاصرين لاسيما المخالفين، لذا فإن الحديث عن تعاليم الدين تجاه أهل الكتاب، ودراسة أبعاد التجربة النبوية مع الأقليات الدينية في المجتمع الإسلامي، يكشف الغموض ويدفع كثير من الشبهات التي تحوم حول تلك الموضوعات.

من هنا ارتأى البحث دراسة موقف الرسول من النصارى في مختلف المراحل من حياته الشريفة، والعودة إلى النصوص الشريفة التي تناولت الديانة النصرانية برموزها وعقائدها وأتباعها، والحديث عن الأسس التي وضعها

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النّجفُ الأشرَف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

الإسلام لكل حوار بين المسلمين والنصارى، ثم التعرض إلى حالات الاحتكاك والمواجهة المسلحة التي جرت بين الطرفين.

اعتمد البحث المنهج التاريخي في دراسة المأثورات التي تتعلق بالموضوعات، إلى جانب المنهج التحليلي الذي تكفل بتحليل النصوص المقدسة والروايات التاريخية، والكشف عن أبعادها الاجتماعية والأخلاقية.

يتألف البحث من مباحث اربعة أساسية، تناول الأول علاقة الرسول بالنصارى حين كان في مكة، وتطرق الثاني إلى الطرح القرآني بخصوص الديانة النصرانية ورموزها، وعرض الثالث لموضوع الحوار وقواعده بين المسلمين والنصارى، وأشار الرابع إلى المواجهات المسلحة التي جرت بين المسلمين والنصارى في عهد الرسول.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

المبحث الأول: علاقة الرسول مع النصارى في مكة.

لم تكن الديانة اليهودية هي الديانة السماوية الوحيدة التي وجدت سبيلا إلى الجزيرة العربية، فقد كان للنصرانية حضور أيضا، لاسيما في المناطق الشمالية والجنوبية منها. والنصرانية هي الديانة الأحدث عهدا من اليهودية، ومع إنها قامت على أسسها ولكنها كانت أوسع أفقا؛ ذلك لأن اليهودية ظلت حبيسة بني إسرائيل، وجعلت إلهها إلها لشعب الله المختار، فيما بدت النصرانية ديانة عامة، حيث قام رجال الدين النصارى بالتبشير بها بين شعوب الأرض، كما إنها كانت أكثر تساهلا وتسامحا فلم تقيد أبناءها بقيود شديدة كما فعلت اليهودية. (علي،١٩٦١، ج ٦، ص٥٦١)

لقد انتشرت النصرانية بين عرب بلاد الشام والعراق، إذ كانت بلاد الشام تحت حكم البيزنطيين، وديانتهم الرسمية هي الديانة النصرانية التي عملوا على الترويج لها بين شعوب امبراطوريتهم والشعوب الأخرى، لتوسيع نفوذهم السياسي وتقوية معسكرهم المناهض لخصومهم التقليديين آنذاك من الفرس. فدخلت القبائل العربية وحكامها التابعون لهم في هذه الديانة، مثل: الغساسنة، وتغلب، وتنوخ، وإياد وغيرهم. فاعتنقوا العقيدة النصرانية ولكنها عقيدة متأثرة بالعقلية الشرقية ولا تتوافق مع عقيدة الكنيسة القسطنطينية، حيث عدت هرطقة وخروجا عن العقيدة النصرانية الصحيحة (الارثوذكسية). (علي،١٩٦١، ج ٦، ص٥٩٠)

أما انتشار الديانة النصرانية في ربوع اليمن فقد اختلف في أول من أدخل النصرانية فيها، فلكل من السريان واليونان والأحباش رأي خاص بذلك، فكل واحد من هؤلاء يرجع شرف نشر النصرانية في اليمن إليه. وربما كان انتشار

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النّجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

النصرانية في اليمن عائدا إلى حركة المبشرين الذين كانوا يتنقلون مع البحارة والتجار بالسفن عبر الساحل، أو المبشرين الذين أتوا من العراق عبر الحجاز ونشروا المذهب النسطوري في تلك البلاد. (علي،١٩٦١، ج ٦، ص٦١٠-٦١١)

ومن المؤكد أن العلاقات التجارية بين مكة وبلاد الشام والعراق من جهة، وبينها وبين اليمن والحبشة من جهة أخرى، قد ساعد على نشر التعاليم النصرانية وقصص الكتب المقدسة، بين القبائل العربية وسط الجزيرة، إلا أن عدد المتنصرين وقدراتهم الفكرية ووضعهم الاجتماعي باعتبار أن غالبيتهم من العمال والعبيد، لم تساعدهم على تأسيس كيان ديني أو طائفة كنسية في مكة. (هاينتالر، ص٢٢٥-٢٢٨)

وهنا يأتي السؤال الذي يرتبط بموضوعنا، هل كان النبي محمد (ص) على علاقة بهذه الجماعة وهو في مكة؟ وما هي طبيعتها؟

تشير المصادر إلى بعض القصص والروايات، حول تنبأ بعض الرهبان والقساوسة النصارى بظهور رسول، يدعو إلى دين جديد أتت على ذكره وبعض مواصفاته كتبهم المقدسة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بالقول: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ (الصف:٦).

فمن بين تلك الروايات قصة الراهب بحيرى التي تحدثت عنها كتب السير والتاريخ. فقد كان بحيرى راهبا نصرانيا يعيش في صومعة بمنطقة بصرى في بلاد الشام، وكان هذا الراهب على علم من الكتب القديمة بظهور نبي جديد في الجزيرة العربية. وفي إحدى الرحلات التجارية سافر النبي محمد مع عمه أبو طالب إلى بلاد الشام، وكان في الثانية عشرة من العمر، وقد نزل في منطقة

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

قريبة من صومعة بحيرى. لاحظ بحيرى علامات مميزة على النبي محمد، إذ وجد سحابة تظلله أينما حل، وإن الشجر ينحني له كلما مر به. دعا بحيرى النبي محمد إلى صومعته وسأله بعض الأسئلة والعلامات، تأكد على أثر ذلك، أن هذا الصبي هو نفسه الرسول المنتظر، فأخبر أبا طالب بذلك ونصحه بحماية الصبي من خطر اليهود. (الطبري، ج ٢، ص٢٧٧-٢٧٨)

وهناك رواية أخرى مشابهة ترتبط برحلة النبي محمد الثانية إلى بلاد الشام، حيث سافر هذه المرة لرعاية المصالح التجارية لخديجة، يرافقه في هذه الرحلة أحد موالي خديجة يعرف بميسرة. وحين نزل النبي في منطقة أثناء الطريق للاستراحة وكانت قريبة من صومعة الراهب نسطورا، التفت الراهب إلى النبي وهو جالس تحت شجرة، فسأل ميسرة عن هويته، فأخبره أنه رجل من قريش ومن أهل الحرم، هنا قال الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي. ثم توجه الراهب إلى محمد(ص) ببعض الأسئلة، تبين من خلالها أنه نبي الله المرسل، وأنه هو من بشر به عيسى عليه السلام. (ابن سيد الناس، مجلد ١، ص٦١)

ولئن كانت تلك الأحداث قد جرت قبل البعثة، فإن هناك قصصا أخرى قد رافقت نزول الوحي عليه (ص). فحين نزل الوحي على النبي محمد لأول مرة في غار حراء، عاد إلى زوجته خديجة بنت خويلد وهو مضطرب الحال. هرعت خديجة بصحبة النبي إلى ابن عمها ورقة ابن نوفل، وكان رجلا عالما وحكيما، ودان بالنصرانية واطلع على الكتب المقدسة. أخبر النبي ورقة بما جرى له، فقال ورقة: هذا الناموس الأكبر الذي أنزله الله تعالى على موسى. (المجلسي، ج ١٨،ص ٢٢٨)

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النّجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

وتضيف المصادر، إن خديجة لما انتهت من ورقة بن نوفل ذهبت إلى عداس الراهب، وكان شيخا طاعنا في السن وسألته: أخبرني عن جبرئيل ما هو؟ فأجابها: ما ذكر جبرئيل في بلد لا يعبد فيها الله؟ من اين عرفت اسم جبرئيل؟ قالت بعد أن اخذت منه عهدا بالكتمان، بأن محمدا أخبرني بأن جبريل قد أتاه. قال عداس: ذلك هو الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وعيسى بالرسالة، ولئن نزل جبريل على هذه الأرض فقد نزل إليها خير عظيم. (المجلسي، ج ١٨،ص ٢٢٨-٢٢٩). على أنّ قصة النبي مع ورقة التي ذكرت في كتب السير والتاريخ إن صحت، ينبغي القول إن بعض تفاصيلها غير مقبول، فقد ذكرت أمورا تنافي الحكمة والتدبير الإلهي، ولا تتناسب مع مقام النبي الخاتم، مثل أن النبي قد خامره شعور بعد نزول الوحي لأول مرة أنه وقع تحت تأثير خداع البصر، أو ربما أصابه عارض جنون، ولكنه اطمأن وزال شكه لما سمع قول خديجة بأن الله لا يفعل بك ذلك، وأنت من صدق الحديث وأدى الأمانة... أو من قبيل ما ذكره ابن الأثير من أن النبي بعد نزول الوحي قد أصابه خوف شديد حتى أنه هَمّ بطرح نفسه من أعلى الجبل، فتبدى له ملك الموت ومنعه، وما إلى ذلك من أمور. (ابن الأثير، ٢٠٠٦، ج ١، ص٣٠١-٣٠٣)

ومن المناسب ذكر تعقيب الشيخ السبحاني على هذه القصة، فقد رأى بأن نفس الرسول قد استنارت بتلك الآيات الشريفة التي ألقيت إليه، وتعلم كل ما ذكره الوحي في ذلك اللقاء، بعدما خاطبه بقوله: يا محمد.. أنت رسول الله.. وأنا جبرئيل. وأن الاضطراب الذي اعترى الرسول والتعب الشديد كان أمرا طبيعيا بعض الشيء، وهو لا ينافي يقينه وإيمانه بصدق ما أنزل إليه؛ لأنه يتعلق بعظمة الموقف وهو يتلقى الوحي للمرة الأولى، والمسؤولية الكبرى التي ألقيت

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

على عاتقه. (السبحاني، ٢٠٠٨، ج ٢، ص ٣٣٨). علاوة على أن الاضطراب والرعدة التي أصيب بهما الرسول، من الأعراض الطبيعية التي تصيب الإنسان حال تعرضه لموقف مهول، ولا يستدعي هذا العارض تفسيرها تفسيرا متعسفا كتصور الجنون، ولا يبرر اتخاذ قرار الانتحار من الإنسان العادي، فضلا عن الرسول ذي النفس العالية المصطفى من قبل الله تعالى، والذي تؤكد مرويات التاريخ أن ارهاصات النبوة رافقت حياته منذ الولادة.

ونقل أن المستشرقين البريطاني مونتغمري وات والألماني كارل بروكلمان، قد شككا في الروايات الإسلامية حول تنبأ بعض علماء النصارى بظهور نبي الإسلام، واتفقا على أنه لا شيء يصح من تلك الروايات. ويعلق وات على قصة الراهب بحيرى بأن: القارئ يجد نفسه إزاء أرضية مهزوزة لوقائع هذا المدى الزمني، الذي يمتد ربع قرن بين الميلاد والزواج. (النعيم، ١٩٩٧، ص٥٩-٦٠)

وفيما يبدو أن انكار هذين المستشرقين لمثل هذه القصص وغيرها مما يتعلق بإرهاصات النبوة التي تزخر بها كتب السير، راجع إلى ما تنطوي عليه من مضامين دينية، فقد تعد اعترافا مسيحيا بنبوة محمد (ص)، بوجود نصوص وتعاليم قد تنبأت بها الكتب السماوية السابقة، تتعلق بالتبشير بولادة النبي الخاتم وصفاته الخاصة، التي من خلالها استطاع هؤلاء الرهبان من التعرف عليه.

وذكرت كتب السير والتفاسير رواية أخرى ترتبط بعلاقة النبي بالنصارى بعد اعلان الدعوة، إذ ذكر ابن إسحاق أنه قد بلغه أن النبي (ص) كان يجلس إلى غلام نصراني غير عربي عند المروة، يعرف بجبر وهو مولى لبني الحضرمي، وكان يقرأ الكتب السماوية القديمة. فلما سمع المشركون من النبي أخبار ما

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النّجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

مضى وما هو آت، مع أنه أمي لم يقرأ قالوا: إنما يعلمه جبر. وقيل إن مولى جبر كان يضربه ويقول له: أنت تعلم محمدا، فيقول: لا والله، هو يعلمني ويهديني. فنزلت الآية الكريمة: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل:١٠٣). (القرطبي، ج ١٠، ص١٧٧).

وبغض النظر عن صحة الرواية من عدمها، فعلى ما يبدو أن شبهة اخذ النبي الأخبار وتعاليم الأديان والكتب السماوية السابقة، قد أثيرت في أكثر من وجهة وزمان، لذا احيطت هذه الشبهة باهتمام القرآن نفسه وأخذ بالرد عليهم حين أكد على أمية الرسول، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت:٤٨). ولم تخلو شبهات المستشرقين من هذا الاتجاه أيضا، فقد ذهب مونتغمري وات إلى أن محمدا كان على علاقة بالمسيحيين في مكة، لا سيما ورقة بن نوفل الذي كان له أثر كبير في صبغ التعاليم الإسلامية بالصبغة المسيحية. (النعيم، ١٩٩٧، ص٢١٨)

ولست بصدد مناقشة هذه الشبهة بالشكل الذي يخرج البحث عن هدفه، إلا أنه يمكن القول إن الإسلام وكتابه الخالد قد سجل اعتراضات جوهرية على التعاليم اليهودية والمسيحية، بصورة تجعله بعيدا كل البعد عن التبعية والتقليد، إذ ناقش معتقداتهم وأبطلها وأدرجهم ضمن لائحة الكفر والشرك، إن كان في ضوء عقيدة البنوة أم التثليث وما إلى ذلك من عقائد دينية منحرفة. ولكننا في الوقت ذاته لا نذهب إلى تأكيد القطيعة بين الديانتين، طالما كانت

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

تنتمي إلى طائفة الأديان السماوية، فمن الطبيعي أن تكون هناك أوجه شبه بينه ما دامت تنبع من مصدر واحد.

ولعل أبرز المواقف التي تعكس أبعاد علاقة النبي بالنصارى في تلك المرحلة ما يرتبط بالهجرة إلى الحبشة. إذ لما صدع النبي بالدعوة إلى الإسلام لم تتجاوب مكة معها، بل اتخذت قريش موقفا معاديا للدعوة وشددت قبضتها على المسلمين، وبالغت في اضطهادهم في محاولة لثنيهم عن دينهم، بشتى سبل القهر النفسي والتعذيب الجسدي والمقاطعة الجماعية، الأمر الذي دعا النبي إلى التفكير في هجرة المسلمين لمكان أكثر أمنا بعيدا عن قهر قريش.

فحين طلب أصحاب النبي (ص) رأيه في الهجرة من مكة في السنة الثانية للدعوة أجابهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم أحد عنده، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه. (الطبري، ج ٢، ص٣٣٠-٣٣١). لقد كانت الحبشة مكانا مناسبا يلجأ إليه المسلمون الذين عانوا من بطش قريش وجبروتها؛ لأن فيها حاكما صالحا مؤمنا بعقيدة دينية سماوية هي النصرانية. وفعلا وجد المسلمون المهاجرون أرض الحبشة كما وصفها النبي بلادا آمنة صالحة لعبادة الله سبحانه من دون وجل من أحد. وقد وصف المهاجرون حالهم ومدى تمتعهم بالاستقرار في تلك البلاد في ظل الحاكم النصراني الذي عرف بالنجاشي بالقول: وقدمنا أرض الحبشة، فجاورنا بها خير جار، أمنا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذي ولا نسمع شيئا نكرهه. (الطبري، ج ٢، ص٢٢٩)

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النّجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

لقد جسدت هذه الهجرة الخطوة الأولى لاجتماع موحد جمع بين المسلمين والنصارى، وبذرت أسس التعايش السلمي بين أبناء الديانتين في ظل حكم رشيد، وعبرت عن ثقافة مبكرة من جانب الطرفين لقبول الآخر الديني، هذا كله من جانب، ومن جانب آخر عكست عن وعي ديني من قبل النصارى لنصرة الديانة السماوية في صراعها مع العقيدة الوثنية المشركة، منحت المسلمين المهاجرين فرصة ثمينة للثبات على العقيدة.

في قبال ذلك سجل المسلمون موقفا واعيا تجاه نصرة الدين وثقه القرآن الكريم، فقد كان الروم والفرس في صراع متواصل، فلما انتصر الفرس على الروم في إحدى المعارك اغتم المسلمون لأن الروم أهل كتاب، فنزلت الآية تخبر المسلمين بنصر قادم للروم، ﴿ الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ (الروم: ١-٥). وفعلا انتصر الروم على الفرس بعد تسع سنين، ففرح المسلمون بانتصار الروم على الفرس، وبانتصار المسلمين على المشركين في معركة بدر. (الطبري، سورة الروم، أية: ١-٥)

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

المبحث الثاني: النصرانية في القرآن الكريم

احتلت الديانة النصرانية مساحة واسعة من مجمل القرآن الكريم، فانصب اهتمامه على شخصياتها المهمة وما جرى عليها من أحداث، مثّل بعضها جزءا جوهريا من الديانة نفسها، وبسط مفاهيمها وناقش عقائدها بصورة مستفيضة. فقد أفرد القرآن سورة هي ثاني أكبر سورة فيه باسم (آل عمران) عائلة والدة المسيح عليه السلام، كما أن هناك سورة أخرى بإسم مريم والدة السيد المسيح، فضلا عن سورة الروم وهي الحاضنة الاجتماعية الأهم للديانة النصرانية، وسورة المائدة التي تناولت إحدى المعجزات التي كرم الله سبحانه بها المسيح.

لم يهمل القرآن الكريم السيدة مريم والدة السيد المسيح من الذكر، وهي التي كانت محل جدل وخلاف بين اليهود والنصارى، فقد تعرضت إلى التشكيك والطعن في طهارتها وشرفها من قبل اليهود، حينما حملت بالسيد المسيح بطريقة غير طبيعية، بل كانت مريم المرأة الوحيدة التي ذكر اسمها صريحا في القرآن، واستعرض بعض الأحداث المهمة من تاريخ حياتها منذ الولادة حتى مجيء عيسى.

هي مريم ابنة عمران خير نساء بني إسرائيل. حين حملت بها أمها نذرت أن يكون ما في بطنها خالصا لله وأن يكون في خدمة المعبد، فقد كان ذلك الأمر من شأن صالحي اليهود، فلما جاء المولود وتبين أنه أنثى اعتذرت امرأة عمران لربها، ودعت ربها أن لا يكون للشيطان سبيل عليها وعلى ذريتها، ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ (ال عمران: ٣٥-٣٦).

وتقبل الله تعالى مريم بأحسن القبول، وأجرى على يديها الكرامات، حيث جاء في الذكر الحكيم: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًاۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ (ال عمران: ٣٧). وصرح القرآن العظيم بشأن طهارة مريم، ورد أكاذيب اليهود بشأن رميها بتهمة الزنا، وؤكد في الوقت ذاته بلسان الملائكة أن الله سبحانه قد اختارها لتكون محلا لمعجزته، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران: ٤٢). ومن الجدير بالذكر أن مفهوم الاصطفاء لم يشمل أية امرأة أخرى في القرآن غير مريم.

ولم يشأ الكتاب العزيز أن يكتف بالتصريح بطهارة مريم، من دون أن يكشف غوامض تلك الحادثة العجيبة والمعجزة الباهرة، بما لم تأتِ عليه كتب النصارى أنفسهم من معلومات وتفاصيل، تبهر المؤمنين وتزيد إيمانهم وتبهت الكافرين، فقد جاء: وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم: ١٦-٢١).

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

هذا ولم تترك الحكمة الإلهية الحادثة تمر أمام الناس من دون علامة ظاهرة، تؤيد الحالة الاعجازية التي أحاطت بها، حيث جاء: ﴿ فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم: ٢٦-٣٠).

فعيسى هو ولد مريم من غير أب، ويلقب بالمسيح وهو النبي المرسل من قبل الله سبحانه، وقد حظي بمقام سام في العقيدة الإسلامية بوصفه أحد الأنبياء من أولي العزم، الذين خصهم الله بشرائع تبطل ما قبلها، وهؤلاء مبعوثون إلى الناس كافة بخلاف الأنبياء الآخرين، الذين يبشرون برسالات وشرائع أحد الرسل الخمسة لبلد من البلدان وأناس محددين، وهم (صلوات الله عليهم) بالتسلسل التاريخي كل من: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد. (الطباطبائي، ج ٢، ص١٤٥)

وخص الكتاب العزيز المسيح ببعض الألقاب التي لم تقال على غيره من الأنبياء والمرسلين، مثل (كلمة الله) و (روح الله)، فربما هي إشارات إلى الولادة المعجزة التي تفرد بها عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ (آل عمران:٤٥)، وقال أيضا: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُواْ﴾ (النساء: ١٧١).

ومن علامات التفضيل التي أشار إليها القرآن الكريم في حق النبي عيسى أيضا، هو التأييد بروح القدس في قوله: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النّجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ ﴾ (البقرة: ٢٥٣). ومنها أنه كان محلا للبركة والسلام في كل أحواله، وقد جاء ذلك على لسانه وهو يعدد نعم الله تعالى عليه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (مريم: ٣٠-٣٣).

كما تطرق الكتاب المجيد إلى معجزات المسيح في العديد من الآيات، فعلاوة على ولادته المعجزة من غير أب، كان عليه السلام ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(آل عمران: ٤٦)، ويخلق الطير ويشفي المرضى ويحي الموتى ويخبرهم بما غاب عنهم، حيث وردت الآية على لسان عيسى: ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٤٩).

ومن المعاجز التي ذكرها القرآن لعيسى أيضا، أن الحواريين قد طلبوا منه عليه السلام أن يسأل الله سبحانه مائدة من الطعام يأكلون منها وتطمئن قلوبهم بالإيمان، هنالك دعا عيسى ربه فاستجاب له، ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (المائدة:١١٤-١١٥).

وفي الحقيقة فإن الاعجاز يكتنف حياة المسيح منذ ولادته حتى مماته، حيث ثارت ثائرة الخلاف بين اليهود والنصارى حول نهاية حياته سلام الله

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

عليه، فحيكت الأخبار وكثرت الروايات وادعى اليهود قتله، واتهم النصارى اليهود بالتسبب في قتله مصلوبا. فلما نزل الكتاب على الرسول الكريم أبان الحقيقة واماط اللثام عن غوامض نهايته، ورد دعوى القتل كما فعل في تهمة الولادة الباطلة، فقد ذكر: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٥٧-١٥٨).

وأخيرا تتفق الروايات الإسلامية الواردة عن طريق الفريقين (الشيعة والسنة) مع العقيدة النصرانية، بنزول النبي عيسى بن مريم في آخر الزمان، فقد ورد عن الرسول الاكرم أن عيسى سوف ينزل في آخر الزمان وينصر المهدي من ذريتي ويصلي خلفه. (المجلسي، ج ١٤، ص٣٤٩)

أما الانجيل وهو كتاب النصارى المقدس فقد ذكره القرآن الكريم في مواطن كثيرة، جاءت مرة بعنوان أنه كتاب الله المنزل وهو كتاب هدى وصلاح، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ٣-٤). وأخرى أنه كتاب نور وهدى وموعظة، قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة:٤٦).

وتضمنت الثالثة أن تكون شريعة الانجيل حاكمة على المؤمنين به، ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ (المائدة: ٤٧). في حين أشارت الرابعة إلى النتيجة التي تترتب

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النّجفُ الأشرَف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

على اتباع شريعة الانجيل، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٦٦). وانتهت المرة الخامسة إلى الخواء الذي يصيب أهل الانجيل فيما لو هجروه، ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ﴾ (المائدة:٦٨).

أما النصارى أتباع السيد المسيح لاسيما خواصه الذين أطلق عليهم اسم الحواريين، فكانوا محل اشادة في القرآن الكريم، فقد كانوا مثالا للإخلاص والنصرة، وقد دعا الكتاب العزيز أصحاب النبي إلى الاقتداء بهم،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ﴾(الصف: ١٤). وحين وصف القرآن الرسول (ص) واصحابه بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، إلى جانب التزامهم واخلاصهم ابتغاء مرضاة الله، فقد قرنهم بأمثالهم في التوراة والانجيل، ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ ﴾ (الفتح:٢٩).

إلى جانب ذلك، أشاد القرآن الكريم بموقف النصارى العام من الدعوة الإسلامية والمؤمنين بها، حين قارنهم باليهود والذين أشركوا في موقفهم المعادي للمسلمين، حيث جاء في الذكر الحكيم: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة:٨٢). وفي آية أخرى وصفهم بأنهم ذوو رحمة ورأفة.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ (الحديد:٢٧). وأخيرا منح القرآن النصارى ميزة دوام العلو على الكافرين، ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ (آل عمران:٥٥).

ولكن الحكم على النصارى لم يكن في صالحهم دائما، إذ أشارت آيات كريمة إلى بعض المواقف فتحدثت عن ابتداع الرهبانية وعدم التزامهم بها. والابتداع هو إتيان ما لم يسبق إليه في دين أو سنة. أما الرهبانية فمن الرهبة وهي الخشية، ويطلق عرفا على انقطاع الإنسان عن الناس من أجل التفرغ لعبادة الله خشية منه. فيؤكد القرآن الكريم أن هذه الطريقة (الرهبانية) التي ابتدعها النصارى لم تكن مكتوبة عليهم، وإنما جاءوا بها طلبا لمرضاته، ولكنهم لم يحافظوا على حدودها، ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ (الحديد:٢٧). (الطباطبائي، ج ١٩، ص١٧٣)

وأشارت آية أخرى إلى مدى الانحراف العقائدي الذي وصل إليه النصارى، من جراء اتباع قادتهم وطاعة مراجعهم الدينيين طاعة عمياء ومن غير بصيرة، ابعدتهم عن حضيرة الإيمان وأدخلتهم في دائرة الشرك. ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة: ٣١). في حين جاءت آية عن الممارسات السيئة التي قام بها بعض علماء النصارى تجاه اتباعهم، بابتزازهم وأخذ أموالهم طمعا وجشعا ومن دون وجه حق، وابعادهم عن الطريق القويم

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

الذي أمرهم الله به ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (التوبة:٣٤). إن مراجعة موضوعية للقرآن الكريم تبين أن الرؤية القرآنية تجاه الديانة النصرانية محكومة باعتبارات عدة ، منها أنها ديانة ربانية أصيلة ذات كتاب سماوي وشريعة صالحة، وأن رموزها تحظى بقدسية عالية في الإسلام، أما بالنسبة للرؤية القرآنية تجاه اتباعها فقد عبرت عن أحكام متباينة إزاء المواقف المختلفة التي تبناها النصارى أنفسهم، تجاه العقيدة الدينية ذاتها، وتجاه المسلمين على أرض الواقع.

هذه لمحة سريعة عن الرؤية القرآنية للرموز النصرانية، وهي بمضمونها كانت السيرة النبوية في تعاملها مع تلك الرموز، على اعتبار أن الرسول (ص) هو المجسد لمبادئ القرآن الكريم وقيمه، ومن ثم كانت محددات أساسية لحركة المسلمين تجاهها.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

المبحث الثالث: الحوار مع النصارى

إن تتابع نزول الوحي لإحياء الدين في الحياة البشرية على مدى التاريخ، يعطي تصورا بأنه أشبه بسلسلة مترابطة من الحلقات، كل حلقة فيها هي عبارة عن منظومة من الأفكار والقيم، تتناسب مع روح عصر محدد والمستوى الثقافي الذي هو عليه، والمشكلات التي يعانيها والحلول التي اقترحها. إن هذا التصور يعكس عمق العلاقة التاريخية والفكرية بين الديانات. ولم يكن ظهور الإسلام وهو الحلقة الأخيرة من السلسة التاريخية للأديان، ببعيد عن هذه المقاربة، حيث ظلت جذوة الصراع الديني بين اليهود والنصارى قائمة مع بُعد فترة ظهور السيد المسيح، بل زاد البعد الخلاف والصراع والتناحر بين النصارى أنفسهم، حتى نأوا عن حقيقة العقيدة وجوهرها الأخلاقي. فيما عكست الوثنية التي طغت في أواسط شبه الجزيرة العربية، عن تدني المستوى الثقافي والانحطاط الأخلاقي، واستغلال فج للمشاعر الدينية من أجل مكاسب مادية. إلى جانب ذلك كانت الإبراهيمية الحنيفية محصورة في أسر وأفراد، لا يكاد يأتي لها أثر في خضم تلك الأمواج المتلاطمة من الأفكار والعقائد.

في ظل تلك الظروف كان هناك توق من النفوس المضطربة للمنقذ، عبرت عنه القصص السابقة الذكر، وتابعته روايات وتعاليم الكتب الإلهية القديمة، وأكدته آيات من الذكر الحكيم، ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ ﴾ (المائدة:١٩).

وقد كان التسلسل التاريخي والترابط الرسالي حاضرا بقوة في العلاقة بين النصرانية والإسلام، فها هو المسيح يؤكد حالة الترابط بين الديانات، بوصفه

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النّجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

حالة وسطى بين السابق واللاحق، ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ (الصف:٦).

أولا: حوار القرآن الكريم مع النصارى.

عبر القرآن الكريم وهو المعجزة الرئيسة للنبي الخاتم، عن حالة التطور الثقافي التي وصلت إليها المسيرة الإنسانية، إذ لم يعد هناك من حاجة مادية للتعبير عن الحالة الاعجازية لدعم الدعوة الرسالية، كما هو الحال مع الأنبياء السابقين عليه، وأصبح الخطاب (القرآن) وسيلة مناسبة للإقناع واثبات الحالة الاعجازية. وقد مهد القرآن قبل الدخول في حوار مع الآخرين، بالتأكيد على العلاقة المفصلية التي تربط الأديان مع بعض، وأول ما نطق به هو الإيمان والتسليم بما جاءت به الأديان السابقة، ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(البقرة:١٣٦).

ثم إن أدب الحوار عامل مهم في نجاح أي حوار، فلابد للقرآن من أن يوضح أخلاقياته ويلزم المسلمين بها، وأن يبقى الحوار ضمن أطره الإقناعية، أما وراء ذلك فإن الأمر مرجعه إلى الله، ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل:١٢٥). وحين باشر القرآن الكريم الحوار فإنه ركز على المشتركات بين الأديان، وأهم أساس رصين يمكن أن تقوم عليه العلاقة، هو الإيمان بالإله الواحد، ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران:٦٤).

هذه نماذج من آيات الحوار مع النصارى:

- ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾((التوبة:٣).
- ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ (المائدة:١٧).
- ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَـٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الانعام:١٠١).
- ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون:٩١).
- ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ (النساء: ١٧٢).
- ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ (النساء:١٧١).
- وهذه إجابة على إشكالية الولادة الخارقة لعيسى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩). هنا تناولت الآية عقيدة أخرى لدى بعض النصارى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ (المائدة:٧٢).
- هذه الآية ترد احتمال ادعاء المسيح الألوهية من دون علم الله سبحانه: وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ (المائدة:١١٦).

- وتتناول الآية حالة النقص والحاجة التي تعتري البشر وتنافي الألوهية: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾ (المائدة:٧٥).

- وتشير الآية إلى المحدودية التي تطوق حقيقة المخلوقات، إذ لا أحد يملك حق الاعتراض أو إمكانية الرفض مقابل الإرادة الإلهية المطلقة: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ﴾ (المائدة:١٧).

- ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾(مريم:٣٤).

ثانيا: حوار الرسول وأصحابه مع النصارى.

سجلت المصادر التاريخية بعض الحوارات التي جرت بين الرسول أو بعض أصحابه وبين النصارى، ومما يظهر بعد المراجعة أن تلك الحوارات كانت قليلة، ولعل ذلك يرجع لقلة عدد النصارى في تلك المناطق. ومما يذكر في هذا المجال:

حوار الرسول مع جماعة من النصارى:

هذا الحوار جرى بين الرسول وجماعة من نصارى نجران، وربما يقال هم من الحبشة. حيث ذكر ابن اسحاق أنه قدم على الرسول (ص) وهو بمكة، عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، وكان هناك رجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسائلهم، دعاهم إلى الإسلام وقرأ عليهم بعض ما جاء في القرآن.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

فلما سمعوا ذلك فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به، وعرفوا منه ما وصفته كتبهم من أمره. فلما قاموا اعترضهم أبو جهل مع نفر من قريش، فقال لهم: خيبكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال، ما نعلم ركبا أحمق منكم أو كما قالوا. فقالوا لهم: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نألُ من أنفسنا خيرا. (ابن سيد الناس، المجلد ١، ص١٦١)

حوار جعفر بن أبي طالب وأصحابه مع ملك الحبشة:

لما خرج جعفر ابن أبي طالب وأصحابه فرارا بدينهم إلى الحبشة، بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة، حاملين الهدايا إلى ملك الحبشة وعظمائها، فقبل الملك وجماعته الهدايا، فقال عمرو: إن بأرضك رجالا منا سفهاء، ليسوا على دينك ولا ديننا، فادفعهم إلينا. فقال الملك: حتى أكلمهم وأعلم على أي شيء هم. فقال عمرو: هم أصحاب الرجل الذي خرج فينا، وإنهم لا يشهدون أن عيسى ابن الله، ولا يسجدون لك إذا دخلوا.

أرسل النجاشي ملك الحبشة في طلب جعفر وأصحابه، فلما دخلوا لم يسجدوا له وحيوه بالسلام، فقال النجاشي: ما لكم لا تحيوني كما يحييني من قومكم؟ وأخبروني ما تقولون في عيسى؟ وما دينكم؟ قالوا: الإسلام.. نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا.

قال النجاشي: من جاءكم بهذا؟ قالوا: جاءنا به رجل منا قد عرفنا وجهه ونسبه، بعثه الله كما بعث الرسل إلى من كان قبلنا، فأمرنا بالبر والصدق والوفاء

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

والأمانة، ونهانا أن نعبد الأوثان.. فعادانا قومنا .. ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا.

فقال النجاشي: والله، إن خرج هذا الأمر إلا من المشكاة التي خرج منها أمر عيسى. قالوا: وأما التحية فإن رسولنا أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام، فحييناك بها. وأما عيسى فهو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وابن العذراء البتول. فخفض النجاشي يده إلى الأرض وأخذ عودا، فقال: والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود. (الذهبي، ٢٠٠٧، المجلد ١، ص٨٢-٨٣)

رسالة الرسول الكريم إلى ملك الروم:

لقد بعث رسول الله رجالا من أصحابه إلى ملوك العرب والأجانب حاملين رسائل منه (ص)، يدعوهم فيها إلى دين الإسلام، فبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر، وهو هرقل ملك الروم، وفيها: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، السلام على من اتبع الهدى. أما بعد أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الاريسيين.

طلب القيصر من في مملكته من قوم النبي، فأحضروا له جماعة من غزة، وكان هناك أبو سفيان، فسأله كما وقع في الصحيح، فأجابه وعلم أحواله وتفرس صحة أمره. وعرض على الروم إتباعه، فأبوا ونفروا، فلاطفهم بالقول وأقصر. (ابن خلدون، ٢٠٠٩، المجلد ١، ص٥٩٤-٥٩٥)

سفير الرسول إلى المقوقس:

وبعث الرسول (ص) رسالة إلى المقوقس حاكم مصر من قبل الروم، وهي بمضمونها قريبة من رسالة قيصر، حملها إليه حاطب بن أبي بلتعة. فلما استلم

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

المقوقس الرسالة وفكر في مضمونها، قال للسفير: ما منعه إن كان نبيا، أن يدعو على من خالفه من قومه وأخرجوه من بلده أن يسلط عليهم.

فقال حاطب وكان حكيما: ألست تشهد أن عيسى رسول الله؟ فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه، أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى، حتى رفعه الله إليه؟ فأعجب المقوقس برد حاطب، الذي لم يكن يتوقع أن يجابه بهذا المنطق القوي، فقال: أحسنت، أنت حكيم جاء من عند حكيم.

فتجرأ حاطب وقال: كان قبلك رجل يزعم أنه الرب (يعني فرعون)، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر غيرك بك. إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن، إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوما فهم أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به. (السبحاني، ٢٠٠٨، ج ٢، ص٣٦٩-٣٧١)

ثم انفرد المقوقس بحاطب وسأله عن ما جاء به النبي، فقال حاطب: أن نعبد الله وحده، ويأمر بالصلاة والصيام، وحج البيت، والوفاء بالعهد، وينهى عن أكل الميتة والدم. ثم وصف النبي فأوجز. فقال المقوقس مصدقا ما ذكره حاطب: هذه صفته، وكنت أعلم أن نبيا قد بقي، وكنت أظن أن مخرجه بالشام، وهناك كانت تخرج الأنبياء، فأراه قد خرج في أرض العرب، وهي أرض جهد وبؤس، والقبط لا تطاوعني في اتباعه، وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه بساحتنا.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

ولما عاد السفير برسالة المقوقس مرفقة ببعض الهدايا، قال الرسول (ص): ضن بملكه، ولا بقاء لملكه. (السبحاني، ٢٠٠٨، ج ٢، ص٣٧١-٣٧٣)

الرسائل المتبادلة مع النجاشي:

وذكرت كتب التاريخ أن الرسول كتب رسالة إلى النجاشي ملك الحبشة، وبعثها بيد عمرو بن أمية الحضرمي بشأن جعفر ابن أبي طالب وأصحابه، هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم الحبشة، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم الطيبة البتول الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فاقرهم ودع التجري، وإني أدعوك وجنودك إلى الله فلقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى. (ابن خلدون، ٢٠٠٩، المجلد ١، ص٥٩٥)

استجاب النجاشي لدعوة الإسلام واعتنق الدين الجديد، ورد على الرسول بالرسالة التي جاء بها: إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم ابن الحر.. سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، أحمد الله الذي لا إله إلا هو الذي هدانا للإسلام، أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد بالرأي على ما ذكرت أنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد إنك

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

رسول الله صادقا مصدقا، فقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت لله رب العالمين. (ابن خلدون، ٢٠٠٩، المجلد ١، ص٥٩٥)

ويمكن الجمع بين هذه الرواية ورواية حوار جعفر وأصحابه مع ملك الحبشة، إذ ربما كان حوار جعفر سابقا على وصول رسالة النبي، وحينها لم يكن الملك قد آمن بعد، ولكن لما وصلت الرسالة آمن الملك في ضوء دعوة النبي.

حادثة المباهلة:

لعل أبرز المناظرات التي جرت بين الرسول الكريم والنصارى، هي تلك التي جرت مع نصارى نجران، حيث وفد على الرسول جماعة من النصارى يقودهم الأسقف مع اثنين من كبار علمائهم، أحدهم يعرف بالعاقب والآخر بالسيد. (الطبرسي، ج ٢، ص٣٠٩)

استقبل الرسول الوفد فبادره الأسقف: ما تقول في السيد المسيح؟

أجابه الرسول: عبد لله اصطفاه وانتجبه. فقال الأسقف: أتعرف له أبا ولده. رد الرسول: لم يكن عن نكاح فيكون له والد. فنزلت الآية: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩). (المفيد، ج ١، ص١٦٧)

لم يقر النصارى بما أورده النبي في قضية السيد المسيح، فأنزل الله عز وجل آية المباهلة على رسول الله: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾(آل عمران:٦١). هنا دعا الرسول وفد النصارى إلى المباهلة، فاستنظروه إلى اليوم التالي، وحين جاء الغد قدم النبي

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النّجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

برفقة عليّ وفاطمة والحسن والحسين، وخرج النصارى يتقدمهم اسقفهم، فلما التقى الوفدان جثا الرسول على ركبتيه ودعاهم للمباهلة، قال أبو حارثة - وهو أحد أعضاء وفد النصارى- للأسقف: جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة، فكع الأسقف ولم يقدم على المباهلة. فقال السيد: إدن يا أبا حارثة للمباهلة.

فقال: لا، إني لأرى رجلا جريئا على المباهلة، وأنا أخاف أن يكون صادقا، ولئن كان صادقا لم يحل والله علينا الحول، وفي الدنيا نصراني يطعم الماء.

فقال الأسقف: يا أبا القاسم إنا لا نباهلك ولكن نصالحك، فصالحنا على ما ينهض به. فصالحهم الرسول (ص). (الطبرسي، ج ٢، ص٣٠٩)

الملاحظ على هذه الحوارات أنها ظلت بمقدار ما ضمن دائرة الحجة والبرهان، ولم تدخل في باب الجدال واللجاج الذي يخرج الحوار عن اطاره العلمي والموضوعي، ومن ثم لم تكن لها آثار سلبية على المجتمع، على العكس من الحوارات التي جرت مع الأطراف الأخرى كالمشركين واليهود، فإن كثير منها انتهى إلى لجاج وتعنت أخرج الحوار عن إطاره، وأدى إلى مناكفات وأزمات ثقافية ومجتمعية.

إلى جانب ذلك، فإن الملاحظ على تلك الروايات -إن صحت- التي عرضت الحوارات مع النصارى، قد أشارت من قبل بعض النصارى على الأقل إلى الإقرار بصحة دين الإسلام، وقد أعلن بعضهم ذلك صراحة، فيما امتنع أخرون عن التصريح بعقيدتهم لأسباب دنيوية.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

المبحث الرابع: المواجهات العسكرية

الملاحظ على المواجهات المسلحة بين المسلمين والنصارى أنها لم تجرِ في وقت مبكر كما هو الحال بالمشركين واليهود، والسبب في ذلك ربما يعود إلى أن تواجد النصارى في المناطق التي ظهر فيها الإسلام (مكة والمدينة) كان ضئيلا، ولكن مع انتشار الإسلام في مساحات واسعة من الجزيرة العربية، بدأ الشعور بالريبة يدب لدى قادة الروم، وفي صفوف القبائل النصرانية التي تقطن شمال الجزيرة سواء في العراق أم في بلاد الشام، التي كانت بمثابة السياج الحامي من الأخطار المحتملة تجاه الدولة الرومانية النصرانية.

دومة الجندل:

بلغ رسول الله (ص) أن جماعة من القبائل النصرانية من غسان وقضاعة بدأوا بالتجمع في منطقة دومة الجندل، والتعرض للمسافرين والتجار المارين في تلك المنطقة، والتقدم نحو أطراف المدينة، فخرج رسول الله في ألف من المسلمين، وخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري، وكان يستتر نهارا ويسير ليلا حفاظا على السرية. ولما دنا الرسول من المنطقة، وعرفت تلك الجماعة بقدومه تفرقوا، فلم يلتقي (ص) بها أحد، فأقام هناك أياما بث فيها السرايا والدوريات، ولكنهم لم يصادفوا من تلك الجماعة أحدا، فقرر العودة إلى المدينة من غير قتال. (السبحاني، ٢٠٠٨، ج ٢، ص٢٤٦)

معركة مؤتة:

في أوائل السنة الثامنة للهجرة كان ثمة أمن نسبي يسود مناطق الحجاز، وكان نداء الإسلام قد وصل إلى قلب عاصمة المشركين، بفضل صلح الحديبية وزيارة المسلمين بيت الله الحرام، ولم تعد قريش تهدد أمن المسلمين من جهة

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النّجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

الجنوب، كما تراجع تهديد اليهود إذ لم يبق لهم نفوذ في مناطق المسلمين. لذا فكر الرسول في أن يركز دعوته باتجاه الشمال، تلك المناطق التي تحاذي بلاد الشام.

من هنا، بعث النبي (ص) الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتابه، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني حاكم المناطق الحدودية، فلما عرف أنه من أصحاب النبي، وأنه حامل معه رسالة إلى بصرى، أمر بضرب عنقه وقُتل صبرا، ولم يقتل رسولا للنبي (ص) غيره. وصل الخبر إلى المدينة فغضب النبي لمقتله، ودعا المسلمين إلى أخذ القصاص من قاتله.

إلى جانب ذلك، فقد كان النبي (ص) قد بعث كعب بن عمير الغفاري مع خمسة عشر رجلا، إلى منطقة تعرف بذات أطلاح من أرض الشام لدعوة الناس إلى الإسلام، لما وصلوا إلى أهالي تلك المنطقة دعوهم للإيمان، ولكنهم لم يستجيبوا للدعوة ورشقوهم بالنبل، ولما رأى المسلمون ذلك الموقف صمدوا وقاتلوهم حتى قتلوا، وأفلت منهم واحد، تحامل على جراحه وأتى النبي بالخبر، فشق ذلك عليه. (الذهبي، ٢٠٠٧، المجلد ١، ص ٣١٢)

على أثر تلك الاعتداءات على رسل الإسلام ودعاته، أصدر النبي أوامره بالخروج إلى الجهاد ورد المعتدين وردعهم، فتجهز جيشا قوامه ثلاثة آلاف. خرج الجيش من المدينة وانتهى إلى معان من أرض الشام، فأتاهم الخبر بأن هرقل ملك الروم قد نزل مؤاب من أرض البلقاء، على رأس جيش قوامه مائة ألف من الروم، ومائة ألف من النصارى العرب، من قبائل: لخم، وجذام، وقضاعة. فأقام المسلمون ليلتين يتشاورون في الكتابة إلى الرسول وانتظار أمره ومدده. ولكن عبد الله بن رواحة قال لهم: أنتم إنما خرجتم تطلبون الشهادة،

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فهي إحدى الحسنيين، إما ظهوره وإما شهادتنا.

استجاب المجاهدون لحديث ابن رواحة على الرغم من الفارق الكبير بين جيش المسلمين وجيش الروم في العدة والعدد، فاتجهوا إلى تخوم البلقاء فلقوا جيوش هرقل قرب مؤتة، وجرت معركة حامية استبسل فيها المسلمون، وقتل على أثرها ثلاثة من قادة الجيش الإسلامي هم: جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، فانتقلت الراية إلى خالد بن الوليد، الذي وجه الجيش مبتعدا عن المعركة. (ابن خلدون، ٢٠٠٩، المجلد ١، ص٥٩٧-٥٩٨)

جيش العسرة إلى تبوك:

لقد كانت الامبراطورية الرومانية احدى الدولتين العظميين في ذلك الزمان، حيث كان نفوذها يمتد إلى مساحات شاسعة من العالم، وكانت لها أعظم قوة عسكرية وتمتلك رصيدا معنويا كبيرا جراء انتصاراتها الأخيرة على منافستها التقليدية الامبراطورية الفارسية، وما لحقته بها من هزائم نكراء في تلك العصور.

وكان لذيوع خبر انهيار عاصمة الشرك وسيطرة المسلمين على مكة، وانتشار الإسلام في ربوع الجزيرة العربية، بانخراط القبائل العربية في الدين الجديد والانضمام إلى الدولة الإسلامية، صدى كبيرا خارج جزيرة العرب، إذ أبدى امبراطور الروم مخاوفه مع انتشار الإسلام ونفوذه السياسي المطرد، وبدت الريبة تزداد يوما بعد يوم تجاه تعاظم القوة العسكرية الإسلامية. (السبحاني، ٢٠٠٨، ج ٢، ص٥٥٢-٥٥٣)

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النّجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

شاع خبر تحشيد جيوش الروم والتهيّؤ لمهاجمة المسلمين وغزو بلادهم، فلما وصل الخبر إلى أسماع الرسول (ص)، أمر بتجهيز جيش للدفاع عن حياض الإسلام. صادف هذا الأمر أن يكون في ظرف عسرة، من شدة الحر، وجدب البلاد، وفي أوان الحصاد، فكان الناس يميلون إلى البقاء قرب محاصيلهم ويكرهون الشخوص للحرب.

كان النبي على علم بصعوبة المهمة القادمة، حيث أن المعركة ستكون ضد جيش كبير ومتمرس، لذا دعا المسلمين من مختلف المناطق إلى الجهاد والاستعداد لمحاربة الروم، وبدأ المجاهدون بالتجمع من جميع أركان الدولة الإسلامية. لقد كان رسول الله قلما يعلن عن وجهته حين ينوي الخروج للحرب، ولكنه أعلن عن نيته في مقابلة الروم هذه المرة، بسبب بعد المسافة وكثرة العدو وشدة الزمان، فأراد (ص) أن يتأهب المجاهدون بالصورة التي تناسب هذه المهمة. (الطبري، ج ٢، ص١٠١)

كما أمر النبي المسلمين بدفع الصدقة، فجمعت الزكاة والصدقات دعما للمجهود الحربي. ومع ذلك كانت هناك شحة في الموارد، فقد ذكرت المصادر أن جماعة من المسلمين جاءوا إلى النبي يطلبون المعونة للخروج للجهاد، ولم يكن له حينها قدرة على اعانتهم، فخرجوا يكفكفون دموعهم أساً على عدم المشاركة، فنزلت الآية: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا ﴾ (التوبة: ٩٢). (الذهبي، ٢٠٠٧، المجلد ١، ص٣٦٦)

في المقابل كانت هناك جماعة من المنافقين الذين تظاهروا بالإسلام، أخذوا يثبطون الناس عن الخروج للجهاد متحججين بشدة الحر، فنزلت الآية

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

تتوعدهم بنار جهنم: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: ٨١-٨٢).

إلى جانب ذلك، بلغ رسول الله (ص) أن جماعة من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي، ويخططون لتثبيط المسلمين عن الخروج لهذه المعركة، فبعث إليهم طلحة بن عبيد الله في جماعة، فحرق بيت سويلم وفر المنافقون من ذلك البيت. (القريشي، ٢٠٠٧، ج ٣، ص١٥١-١٥٢)

وبعد سفر شاق حيث واجه جيش المسلمين متاعب جمة لبعد المسافة وصعوبة الظروف التي احاطت به، وصل الجيش الإسلامي الذي كان يقدر بثلاثين ألف إلى تبوك، وذلك في شهر شعبان من سنة (٩) للهجرة، دون أن يرى أثرا لجيش الروم، فتشاور النبي مع قادة جيشه حول التقدم نحو الروم أو العودة إلى المدينة، وانتهت المشاورات بقرار العودة إلى المدينة وعدم التقدم نحو العدو. (السبحاني، ٢٠٠٨، ج ٢، ص٥٦٨)

وقبل العودة اجتمع النبي (ص) بكبار أهل تبوك وأهل جرباء وأذرح، وصالحهم على السلم ومنحهم الحماية واعطاء الجزية، وجاء في كتاب المصالحة: (القريشي، ٢٠٠٧، ج ٣،ص١٥٥)

بسم الله الرحمن الرحيم ... هذه أمنة من الله، ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة، سفنهم وسيارتهم في البر والبحر، لهم ذمة الله تعالى وذمة محمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثا، فإنه لا يحول ما له دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النّجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

والجزية ضريبة تفرض على أهل الذمة من الذين يرومون العيش في ظل الدولة الإسلامية. فالجزية ضريبة خاصة بأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس، ولا تقبل من المشركين إذ رفض النبي عرض أهل مكة، بالانضمام للدولة الإسلامية والبقاء على معتقدهم في عبادة الأوثان مع دفع الجزية. (الطوسي، ج ٤، ص١١٣)

وهي ضريبة مالية غير محددة تختلف باختلاف دخل الشخص المشمول بها، تفرض على أهل الكتاب من الأشخاص القادرين على حمل السلاح فقط، ولم تشمل الرهبان، النساء، والأرقاء، والشيوخ، والعجزة، والأعمى. في مقابل الاعفاء عن الضرائب التي تفرض على المسلمين، والاعفاء عن الخدمة العسكرية، فيما يتوجب على الحكومة تأمين الحماية وتقديم الخدمات العامة لهم.

وقد قارب ديورانت نظام الجزية بنظام الحكم الذاتي في الأنظمة السياسية المعاصرة، حيث رأى أن أهل الذمة من اليهود والنصارى والصابئة والمجوس تمتعوا بما يشبه الحكم الذاتي في ظل حكومة الإسلام، الذي يؤمن لهم الخضوع لزعمائهم وقضاتهم وشرائعهم، والحرية بممارسة شعائرهم وطقوسهم، والاحتفاظ بمعابدهم وكنائسهم. (ديورانت، ج ١٣-١٤، ص١٣٠-١٣١)

الحكم الذاتي نموذج مطبق في كثير من بلدان العالم حاليا، وهو نظام سياسي وإداري يتعارض مع المركزية، حيث تحتاج الدول التي تطبقه إلى أن تتخلى عن سلطتها المركزية، في جزء مهم من صلاحيات تدبير الأقاليم سياسيا وإداريا واقتصاديا، لتتم ممارسته على المستوى المحلي. تلجأ له الدولة لحماية

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النّجفُ الأشرَف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

حقوق الأقليات عادة، وذلك ببقاء السيادة العليا للدولة مع تفويض الاقليم بعض الصلاحيات، حيث تتمتع الجماعة في ظل الحكم الذاتي بدرجة من الاستقلالية في إدارة شؤونها الداخلية. وهو لا يعادل الاستقلال التام، لكنه يمنح جماعة الاقليم صلاحيات محددة في مجالات: الإدارة العامة، الأمن الداخلي، الاقتصاد، الثقافة، التعليم... تحت الإطار القانوني للدولة الأم.

ومما لا يخفى فإن تمتع الاقليات الدينية في دولة الإسلام في تلك المرحلة الزمنية المبكرة، بنظام قريب من نظام الحكم الذاتي يعد خطوة متقدمة في مجال حماية حقوق الأقليات؛ إذ هو نظام متبع حاليا في كثير من الدول المتطورة كفرنسا واسبانيا والصين والهند.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النّجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

الخاتمة:

- أشارت المصادر الإسلامية إلى بعض الأحداث المتفرقة التي جرت بين النبي وعدد من علماء النصارى، أكدت بمجملها على معرفة هؤلاء الرهبان بنبوته من خلال التعرف على شخصيته واوصافه، وأكدت على أن هذه المعلومات قد استقاها أولئك من الكتب السماوية التي تنبأت بظهوره وأشارت إلى مواصفاته وخصائصه؛ وهي تتضمن دلائل غير خافية على صدق دعوى النبي الخاتم، الأمر الذي ينكره المخالفون.

- وأفرزت الهجرة إلى الحبشة موقفا هاما في دعم الدعوة الإسلامية الفتية من جانب ملكها النصراني، في ظل ظرف عصيب لقيه المسلمين على يد المشركين آنذاك، وكشفت عن اجتماع هو الأول من نوعه بين المسلمين والنصارى، يتسم بالتعايش السلمي والاحترام المتبادل تحت حكم رشيد. إلى جانب ذلك، كان هناك موقف من المسلمين داعم للنصارى -بوصفهم أهل كتاب – في حربهم مع الفرس.

- سجل القرآن الكريم اهتماما كبيرا بالرموز الدينية النصرانية: آل عمران، ومريم، وعيسى، والانجيل. وعبر عن احترام وتقديس كبيرين ازائها، أما الحكم على النصارى سواء كانوا علماء أم أناس عاديين، فإنه قائم على اعتبارات تتعلق بموقفهم من العقيدة الدينية من جهة، ومن المسلمين على أرض الواقع. وعالج القرآن أيضا الكثير من الأوهام التي قد أثارت مشكلات وصراعات بين النصارى أنفسهم، أو بين النصارى واليهود.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

- علاوة على ذلك، فقد مهد القرآن الكريم لفتح حوار شامل مع النصارى وأهل الكتاب على وجه العموم، قائم على أساس العودة إلى المشتركات العقدية، والدعوة بالحسنى ومن دون ممارسة أي ضغوط.

- ذكرت المصادر العديد من الحوارات التي جرت بين المسلمين والنصارى، مثلت بمجملها مناظرات عقلانية قائمة على الحجة والبرهان، سواء انتهت إلى التسليم بنتيجة معينة أم لا، ولم تسجل أي منها خرقا يكون مثار صراع وصدام مسلح.

- ولكن مع انتشار الإسلام في الجزيرة العربية، وظهور الدولة الإسلامية كقوة فاعلة في الساحة السياسية، دبت الريبة لدى دولة الروم والقبائل العربية المتنصرة القاطنة في أطرافها، التي كانت بمثابة السياج الحامي لها من الأخطار المحتملة.

- وكان الموقف الأشد من طرف النصارى الذي أثار حفيظة المسلمين، هو الاعتداء السافر الذي أقدم عليه الحاكم النصراني على المناطق الحدودية، بالقتل صبرا لسفير النبي إلى ملك بصرى، علاوة على الاعتداء الذي قام به النصارى من أهالي منطقة ذات أطلاع وأسفر عن قتل دعاة الإسلام السلميين. جرت على أثرها معركة مؤتة التي تكبد فيها المسلمون خسائر كبيرة، نتيجة للفوارق الكبيرة بين الجيشين الملتحمين.

- على أن العديد من القبائل النصرانية قد انخرطت تحت ظل الدولة الإسلامية، وقد تمتعوا فيها بحكم ذاتي يؤمن لهم الخضوع لقادتهم وقوانينهم، والاحتفاظ بعقيدتهم وكنائسهم، والحرية في ممارسة شعائرهم وطقوسهم، والحصول على الخدمات العامة المطلوبة، بشرط دفع ضريبة تحدد في ضوء

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النّجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

دخل الفرد على الأشخاص القادرين على حمل السلاح، فيستثنى منها الرهبان والنساء والأطفال والعبيد والمرضى، في مقابل الاعفاء عن دفع الضرائب المقررة على المسلمين.

المصادر والمراجع:

١- ابن الأثير، علي بن محمد، (٢٠٠٦)، *الكامل في التاريخ*، ج الأول، عمر عبد السلام: تحقيق، دار الكتاب العربي.

٢- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد،(٢٠٠٩)، *تاريخ ابن خلدون*، المجلد الأول، المكتبة العصرية.

٣- ابن سيد الناس، *عيون الأثر*، المجلد الأول، الطبعة الأولى، دار الافاق الجديدة.

٤- ديورانت، ول، *قصة الحضارة*، ج١٣-١٤، محمد بدران: ترجمة، لبنان، دار الجيل.

٥- الذهبي، شمس الدين، (٢٠٠٧)، *سير أعلام النبلاء*، المجلد الأول، الطبعة الأولى، بيروت، المكتبة العصرية.

٦- السبحاني، جعفر، (٢٠٠٨)، *سيد المرسلين*، ج٢، الطبعة الرابعة، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.

٧- الطباطبائي، محمد حسين، *تفسير الميزان*، ج الثاني والتاسع عشر، المكتبة الشيعية، http://shiaonlinelibrary.com

٨- الطبرسي، فضل بن الحسن، *تفسير مجمع البيان* ، ج الثاني، المكتبة الشيعية: http://shiaonlinelibrary.com

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

٩- الطبري، محمد بن جرير، *تاريخ الرسل والملوك*، ج الثاني، الطبعة الخامسة، القاهرة، دار المعارف.

١٠- الطبري، محمد بن جرير، *تفسير الطبري*، سورة الروم، أية: ٢-٥، الموقع الالكتروني: https://quran.ksu.edu

١١- الطوسي، محمد بن الحسن، *تهذيب الأحكام*، ج الرابع، المكتبة الشيعية: http://shiaonlinelibrary.com .

١٢- علي، جواد، (١٩٦١)، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ج السادس، منشورات الشريف الرضي.

١٣- القرشي، باقر شريف، (٢٠٠٧)، *حياة الرسول الأكرم محمد*، ج الثالث، الطبعة الأولى، بيروت، دار جواد الائمة.

١٤- القرطبي، محمد بن أحمد، *تفسير القرطبي*، ج العاشر، المكتبة الشيعية: http://shiaonlinelibrary.com

١٥- المجلسي، محمدباقر، *بحار الأنوار*، ج الرابع عشر والثامن عشر، المكتبة الشيعية:http://shiaonlinelibrary.com

١٦- المفيد، الشيخ، *الارشاد*، ج الأول، المكتبة الشيعية: http://shiaonlinelibrary.com

١٧- النعيم، عبدالله محمد الأمين، (١٩٩٧)، *الاستشراق في السيرة النبوية*، *أمريكا*، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

١٨- هاينتالر، تيريزيا، *المسيحيون العرب قبل الإسلام*، لميس فايد: ترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة، دار النشر الأسقفية.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النّجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19419

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي